المجلس (٦)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بعد؛

فإننا نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن جمع لنا شرف المكان؛ حيث نجتمع في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرف الزمان؛ حيث نجتمع في شهر رمضان في العشر الأواخر منه، في عصر يوم الجمعة نورٌ عَلَىٰ نور، وشرف العمل حيث نجتمع في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هٰذَا الزمان الفاضل لنتدبر القرآن، ولنعرف معاني آيات ربنا سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وذاك فضلٌ من الله عظيم، وخيرٌ عميم.

أَيُّهَا الإخوة في هٰذِه الساعة تجتمع لكم أمورٌ عظيمة يُرجى معها إجابة دعائكم، فأنتم صائمون أعظم صيام وهو: الفريضة، والصائم له دعوةٌ لا تُرَد، وأنتم جالسون في حلقة ذِكرٍ في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فتتهيأ لكم ثلاثة أسباب لإجابة الْدُّعَاء:**

- **أَوْلها:** أنكم في مجلسٍ تحضره الملائكة، ويستجيب الله دعاء أهله.
- **وثانيها:** أن مَن فعل مثل فعلكم مُخلِصًا لله عَزَّ وَجَلَّ يكون له كأجر الحاج الَّذِي تم حجُه، والحج من مواطن إجابة الْدُّعَاء.
- **وثالثها:** أن مَن أتى مسجد النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتعلم الخير أَوْ يُعلِم الخير كان كالمُجاهِد في سبيل الله، والمُجاهِد في سبيل الله يُجاب دعاؤه.

إِذًا هٰذِه ثلاثة أسباب تتعلق بالمجلس، وسببٌ يتعلق بالحال: وهو: أنكم صائمون، وسببٌ يتعلق بالزمان؛ وهو: أن هٰذِه آخر ساعةٍ من يوم الجمعة، وفي يوم ساعةٍ لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ قائمٌ يصلي يسأل الله شيئًا إِلَّا أعطاه إياه، فمن صلى العصر وجلس في المسجد فهو كالقانت القائم الَّذِي يصلي،

وهٰذِه الساعة هي أرجى ساعات يوم الجمعة لتلك الساعة عَلَىٰ ما جاء في الأدلة، وفي كلام السَلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم.

فأَوْصي نفسي وإخواني: بالإكثار من الصلاة عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكثرة الدعاء العام والخاص في هٰذَا الوقت، اللّٰهم يا ربنا يا حي يا قيوم يا بديع السَّمٰوات والأرض نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلا أن تصلي عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، اللّٰهم صلي عليه وسلم، اللّٰهم صلي عليه وسلم، اللّٰهم يا ربنا إننا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العَلَىٰ: أن ترزقنا العفو والعافية، اللّٰهم ارزقنا العفو والعافية، اللّٰهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عنا، اللّٰهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عنا.

اللّٰهم اغفر لنا، وارحمنا، وعافنا، واهدنا، وارزقنا، ويسر الخير يا رب العالمين، اللّٰهم إننا نسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علِمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علِمنا منه وما لم نعلم، اللّٰهم يا ربي نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العَلَىٰ: أن تهدي المسلمين إِلَىٰ ما تحب وترضى.

اللّٰهم اغفر للمسلمين والمسلمات، اللّٰهم اغفر للمسلمين والمسلمات، اللّٰهم مَن علمته مهمومًا من المسلمين ففرج همه يا رب العالمين، اللّٰهم من علمته مدينًا من المسلمين اللّٰهم فاقضي الدين عنه يا رب العالمين، اللّٰهم مَن علمته مريضًا من المسلمين أَوْ علمت له مريضًا من المسلمين اللّٰهم فاشفه، واشفي مريضه يا رب العالمين شفاءً عاجلًا لا يُغادر سُقمًا.

اللّٰهم يا ربنا يا حي يا قيوم مَن علمته منا مقيمًا عَلَىٰ طاعة اللّٰهم فثبته عليها، وتقبلها منه، وزده خيرًا إِلَىٰ خيره، ومَن علمتهم منا مقيمًا عَلَىٰ معصية اللّٰهم فكره فيها اللّٰهم فكره فيها، وارزقه توبةً صادقةً منها يا رب العالمين، اللّٰهم يا ربنا أرنا في أعدائك الَّذِين أهانوا كتابك عجائب قدرتك يا رب العالمين، اللّٰهم يا ربنا أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللّٰهم يا ربنا أرنا عجائب قدرتك.

اللّٰهم أطفئ الفِتن في ديار المسلمين، اللّٰهم أطفئ الفتن في ديار المسلمين، اللّٰهم اكسر البِدَع يا رب العالمين، اللّٰهم أقِم سُنَة نبيك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ديار المسلمين، اللّٰهم يا ربنا أرنا في أنفسنا وفي أهلينا وفي أمتنا خيرًا يا رب العالمين، اللّٰهم اغفر لنا، ولوالدينا ولأهلينا، ولذرياتنا، ولأحبابنا، وللمسلمين والمسلمات، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، وصلى الله عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ.

معاشر الإخوة نواصل تفسيرنا لسورة: القلم، حيث تقدم تفسير المقطع اَلْأَوَّلُ من هٰذِه السورة، ونشرع اليوم إِنْ شَاءَ اللهُ في تفسير المقطع الْثَّانِي فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا.

(المتن)

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: ١٧-٣٣].

(الشرح)

في هٰذِه الآيات العظيمات الشريفات يُخبِر الله عَزَّ وَجَلَّ أنه اختبر هؤلاء المشركين المكذبين من أهل مكة اختبرهم بالخير الدنيوي والنِعَم الدنيوية حيث أمدهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأموالٍ وبنين، وجعل لهم الأمن في ديارهم اختبارًا لهم لا إكرامًا لهم، ثُمَّ أنعم عليهم بأعظم نِعمَةٍ عَلَىٰ البشرية ألا وهي: بعثة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاختبرهم بكل ذلك فلم يشكروا هٰذَا ولا هٰذَا، بل كانوا من الكافرين.

فكان مثلهم كمثل أهل البستان كثير الشجر عظيم الزرع والثُمَّر، حيث كان رجلٌ قد أنشأ هٰذَا البستان وجعل للمساكين فيه نصيبًا فكان المساكين يأتون إِلَىٰ هٰذَا البستان وقت الحصاد فيأخذون ما تساقط من الثُمَّر من الشجر، وما تساقط عند جمعه، وفوق ذلك جعل لهم نصيبًا مِمَّا تنتجه تلك المزرعة يتصدق به عليهم، فكان يعيش في خير وكان الفقراء يعيشون في خير لهٰذَا.

فلما مات ذلك الرجل وورثه أبناؤه أصاب الأبناء البخل وقَالَوا: أصبح عددنا كثيرًا فلمَاذَا يشاركنا أَوْلئك المساكين في نِتاج بستاننا، وكانوا يعلمون أن المساكين يعلمون وقت الحصاد، وأن الحصاد يكون في النَّهَار فيأتي المساكين في النَّهَار، فأرادوا من المساكين منع حقهم، وعزموا عَلَىٰ ذلك عزمًا أكيدًا وأكدوا عزمهم باليمين، فحلف بعضهم لبعض أنهم يفعلون ذلك.

فحلفوا عَلَىٰ حصد ما في البستان في أَوْاخر اَللَّيْل وبواكير الصباح حيث يكون الناس نائمين، ولا يكون هٰذَا وقت الحصاد المعتاد من أجل أن يسبقوا المساكين، وأن يحرموا المساكين من ذلك وهم لا يترددون في عزمهم، ولا يستثنون في يمينهم، ولا يردون الأمر إِلَىٰ مشيئة ربهم، بل ظنوا أنهم قادرون بأنفسهم عَلَىٰ فعل ما يريدون، فعاقبهم الله بنقيض قصدهم الفاسد حيث أرادوا حرمان المساكين من بعض الثُّمَّر، فحرمهم الله عَزَّ وَجَلَّ من كل الثُّمَّر.

فأصاب بستانهم في اَللَّيْل وهم نائمون آفةٌ وصاعِقَة نزل بها ملكٌ من السماء قيل إنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فاحترقت أشجارهم وزروعهم فأصبحت هشيمًا يابسًا مسودًا كالليل الحالك، لا ينفع منها شيء، وفي بواكير الصباح نادى القوم بعضهم ليفعلوا ما عزموا عليه من الحصاد قبل أن يأتي المساكين فانطلقوا إِلَىٰ جنتهم يسيرون في الطريق منفردين؛ لأن الناس لا زالوا نائمين، ومع ذلك يتحدثون بصوت خفي خفيض خشية أن يسمعهم أحد أَوْ أن يستيقظ أحدٌ إِذَا سمع كلامهم، وهم يؤكد بعضهم عَلَىٰ بعض ألا يدخلن البستان اليوم مسكين.

فساروا في الطريق منفردين عن الناس لا يسير في الطريق غيرهم، وهم في غاية القوة والنشاط والغضب، وقد امتلأت نفوسهم حسدًا، ويحسبون أنفسهم قادرين عَلَىٰ ما عزموا عليه، حيث رتبوا الأمر جيدًا وخططوا تخطيطًا دقيقًا، ولكنهم غفلوا عن قدرة الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، فلما أقبلوا عَلَىٰ جنتهم وأشرفوا عليها، ورأَوْها بأعينهم رأَوْا ما لا يعرفون، حيث رأَوْا هشيمًا متكسرًا، ورأوا جنةً سوداء في بيضاء لا شجر فيها، ولا زرع قائم، ولا خُضرةَ فيها فهالهم الأمر، وطاشت عقولهم، واعتقدوا أنهم أخطأوا الطريق وتاهوا في المسير فوصلوا إِلَىٰ غير جنتهم.

ثُمَّ تأملوا ونظروا فانتبهوا إِلَىٰ الحقيقة المُرة وهي أنهم وصلوا إِلَىٰ جنتهم، فقَالَوا: بل هي هٰذِه لكن لم يبق لنا فيها حظٌ ولا نصيب، فلم يبق لنا من ثِمَّارها وحبوبها لا قليلٌ ولا كثير، وعند ذاك قَالَ خيرهم وأعدلهم وأحسنهم: ألم أقل لكم عندما عزمتم هلا تنزهون الله عما لا يليق بجلاله، ومن ذلك ظنكم أن لكم قدرةً مستقلةً عن قدرته وأنكم لا تحتاجون إِلَىٰ مشيئته، ولذلك لم تستثنوا في يمينكم سُبْحَانَ اللَّهِ، فَهٰذَا أعدلهم وخيرهم لم يخالفهم في عزمهم، ولكنه عاب عليهم أنهم لم يقولوا إِنْ شَاءَ اللهُ عندما حلفوا.

فيقول لهم: وأنا أقول لكم الآن: هلا استغفرتم الله، ورجعتم إِلَىٰ الله، وهم لم يستجيبوا لقوله في نصحه اَلْأَوَّلُ بل استكبروا، واغتروا بعقولهم، وقوتهم، وتدبيرهم، لكنهم لما رأوا قدرة الله ورأوا ما حصل لجنتهم عقوبةً من الله سبحوا الله، ونزهوا الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

وهم يعلمون أن الَّذِي وقع قد وقع، لكن لعل هٰذَا التسبيح وهٰذَا الرجوع وهٰذِه الإنابة إِلَىٰ الله تُسقِط عنهم الإثم، ولعل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرحمهم، وصار يلوم بعضهم بعضًا عَلَىٰ ما قصدوه من ظلم المساكين، فما كان عندهم من جواب لبعضهم إِلَّا أن أقروا واعترفوا بالذنب، فقَالَوا: يا ويلنا إنا كنا طاغين، قد اعتدينا وظلمنا وتجاوزنا الحد حَتَّىٰ أصابنا ما أصابنا، فجاء الرجاء؛ عسى ربنا وهو الغفور الرحيم الكريم أن يبدلنا خيرًا منها في الدنيا والآخرة؛ لأننا راجعون إِلَىٰ ربنا تائبون، راجون عفوه، وطالبون الخير منه بإلحاح.

وهكذا عذاب الله لمَن خالف أمره ومنع حقوق خلقه إِنْ شَاءَ عجله في الدنيا، فأصاب الظالمين ببعض عذابه في الدنيا وهو عَلَىٰ كل شيءٍ قدير، وعذاب الآخرة أكبر، وأشق، وأعظم، فاعتبروا يا أَوْلي الألباب، يا مَن أنعَم الله عليكم بالنعم اشكروها ولا تكفروها حَتَّىٰ لا تُحرموها، فإن النِعَم تُثبَت بالشكر وتزداد بالشكر، وتُسلَب بالكفر، وأدوا حقوق الخلق في أموالكم ليذهب شرها، وتنمو، وتزداد، ويكثُر الخير عندكم.

فوالله ما نُمي المال بمثل الزكاة والصدقة، والله إن المال لينمو ويزداد بالزكاة والصدقة، وفي هٰذَا أَيُّهَا الإخوة تهديدٌ لكفار قريش أنهم إن استمروا عَلَىٰ كفرهم سيصيبهم الله بعذابٍ عاجل، وقد مسهم الله بشيء من العذاب فأصابهم بالجوع والقحط، وعذاب الآخرة أكبر وأشد، هٰذَا تفسير هٰذِه الآيات الموضوعي الإيماني الوجداني، ونعود نفسر هٰذِه الآيات آيةً آية، ونقرأ ما سطره الإمام الفقيه الأصولي المفسر المتفنن الإمام السِعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

قَالَ الإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تَعَالَىٰ: إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد، وطول عمر، ونحو ذلك، مِمَّا يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجًا لهم من حيث لا يشعرون فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجَنَّة، الَّذِينَ هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها وأينعَت أشجارها، وآن وقت صِرامها،

وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثُمَّ مانع يمنعهم منها، ولهذا أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادرهم إليها.

(الشرح)

(بلونا)؛ يعني: اختبرنا، ووالله يا إخوة إن الخير اختبار، وإن الشر اختبار، فالله يُنعِم علينا بالخير يختبرنا به، ويبتلينا بالشر يختبرنا به، فمَن لزِم الشَرعَ في الخير والشر فليُفلِح وليُبشِر بالنجاح، ومَن خالف شرع الله فليخف عَلَىٰ نفسه.

(وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثُمَّ مانع يمنعهم منها)؛ فاغتروا بتدبيرهم وقدرتهم وغفلوا -كَمَا قُلْنَا- عن قدرة الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

(مصبحين)؛ يعني: في آخر اَللَّيْل، وعند بواكير الصباح ولا يستثنون أنهم غير مترددين في فعلهم ولا يستثنون في يمينهم، ولا يستثنون مسكينًا من المساكين لا من الأقارب ولا من غير الأقارب، فسيمنعون الجميع.

(المتن)

قَالَ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩] أي: عذاب نزل عليها ليلا ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩] فأبادها وأتلفها، ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] أي: كالليل المظلم، ذهبت الأشجار والثمار، هٰذَا وهم لا يشعرون بهذا الواقع الملم، ولهذا تنادوا فيما بينهم، لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ۝٢٢﴾ [القلم: ٢٢] قاصدين له ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ [القلم: ٢٣] فيما بينهم، ولكن بمنع حق الله، ويقولون: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٤] أي: بكروا قبل انتشار الناس، وتواصوا مع ذلك، بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم، أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة، خوفًا أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء.

(الشرح)

(﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩])؛ أي: عذاب وآفة وصاعقة نزل بها ملك وهم نائمون لا يدرون ولا يعلمون، وقَالَ بعض العِلماء: الطائف هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ طاف بها واقتلعها.

وأغرب بعض العِلماء فذكروا شيئًا عجيبًا قَالَوا: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ اقتلع هٰذِه الجَنَّة، وأقوى ما قيل فيها إنها في: اليمن، فاقتلع هٰذِه الجنة وأخذها ووضعها في المكان المسمى بالطائف، قَالَوا: ولهٰذَا سميت بالطائف؛ لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الطائف اقتلع تلك الجَنَّة من اليمن ووضعها في الطائف، وهٰذَا في الحقيقة لا دليل عليه، وأمرٌ بعيد، وأمرٌ غريب.

فالظاهر واللهُ أَعْلَمُ: أن الآيات تدل عَلَىٰ أنها احترقت وأصبحت هشيمًا يابسة.

(﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] **أي: كالليل المظلم**)؛ الصريم قيل هو: اَللَّيْل المظلم؛ يعني: أنها من يُبسِها واحتراقها صارت سوداء كالليل المظلم.

وقَالَ بعض أهل العِلم: كالليل، وَالنَّهَار، وأشار إِلَىٰ هٰذَا المعنى البخاري في الصحيح، في تفسير هٰذِه السورة أن الصريم أي: كالصبح أنصرم من اَللَّيْل، وكالليل أنصرم من النَّهَار، طيب ما معنى هٰذَا الكلام؟ يعني: أن بعضها صار أسود وبعضها صار أبيض؛ لأنه لم يبقى شيء، فبعض القطع تُرى سوداء محترقة، وبعض القطع منها تُرى بيضاء؛ لأنه لم يبقى شيء أصلًا في ذلك المكان.

وَقَالَ بعض أهل العِلم الصريم هو: المقطوع من الصُرمِ، والصرم: هو القطع، إِذًا ما معنى كالصريم؟ يعني: الأشجار والزروع بعد أن تُجزأ فما يبقى فيها شيء، وقَالَ بعض السَلَف: الصريم هو الرماد الأسود، فمعنى كالصريم: أنها احترقت تمامًا حَتَّىٰ صار لها رمادٌ أسود لم يبق منها شيء.

(﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ۝٢٢﴾ [القلم: ٢٢])؛ والغدو يا إخوة: هو الذهاب في الصباح الباكر قبل طلوع الشَّمْس، أي: أنهم تنادوا في أَوْل انشقاق النَّهَار، وفي أواخر اَللَّيْل.

(﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ [القلم: ٢٣])؛ قَالَ بعض المفسرين يعني: يتكلمون بكلامٍ خفي خشية أن يسمع الناس، وقَالَ بعض المفسرين يتخافتون أي: يتخفون خشية أن يراهم أحدٌ من الناس، وكلا المعنيين صادق هنا، فهم كانوا يسيرون ويتخفون حَتَّىٰ لا يراهم أحد، ويتكلمون بصوتٍ خفي حَتَّىٰ لا يسمعهم أحد.

(المتن)

قَالَ: ﴿وَغَدَوْا﴾ [القلم: ٢٥] في هذه الحالة الشنيعة، والقسوة، وعدم الرحمة ﴿عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥] أي: عَلَىٰ إمساك ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ [القلم: ٢٦] عَلَىٰ الوصف الَّذِي ذَكَرَ الله كالصريم ﴿قَالُوا﴾ [القلم: ٢٦] من الحيرة والانزعاج، ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ [القلم: ٢٦] أي: تائهون عنها، لعلها غيرها، فلما تحققوها، ورجعت إليهم عقولهم قَالَوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: ٢٧] منها، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة، فـ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨] أي: أعدلهم، وأحسنهم طريقة، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] أي: تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم فقلتم: إِنْ شَاءَ اللهُ وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئة الله، لما جرىٰ عليكم ما جرىٰ.

(الشرح)

(﴿حَرْدٍ﴾ [القلم: ٢٥])؛ فيكون معنى الحرد: الإمساك، والمنع؛ يعني: عَلَىٰ الإمساك والمنع قادرين في ظنهم، وقيل معنى حرد: أنهم كانوا غاضبين فكانوا يسيرون سير الغاضب بقوة، وقيل عَلَىٰ حردٍ يعني: عَلَىٰ جدٍ وحزم بفعل ما في أنفسهم، وقيل: عَلَىٰ حسد، وكل هٰذَا واقعٌ منهم في الحقيقة.

(﴿قَادِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥])؛ قَالَ: بعض العِلماء من القدرة؛ يعني: ظنوا قدرتهم عَلَىٰ ذلك بأنفسهم، وقَالَ بعض العِلماء: من التقدير؛ أي: مدبرين، ومرتبين، ومخططين.

(﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] أي: تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم فقلتم: إِنْ شَاءَ اللهُ)؛ وعَلَىٰ هٰذَا القول يا إخوة يكون هٰذَا الأعدل وافقهم عَلَىٰ منع المساكين، ولكنه عاب عليهم عدم استثنائهم في اليمين.

وقَالَ بعض المفسرين: لولا تسبحون؛ أي: هلا تشكرون الله عَلَىٰ ما أنعَم عليكم به من هٰذِه الثِّمار، ومن شكر الله: إعطاء المساكين حقهم، وعَلَىٰ هٰذَا القول يكون خالفهم ولم يوافقهم عَلَىٰ عزمهم.

وقَالَ بعض المفسرين: إِنَّمَا قَالَ هٰذَا بعد الوقوع بعد أن احترقت، فقَالَ: هلا تسبحون؛ يعني: هلا تستغفرون الله وترجعون إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ: فَقَالَوا ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩] أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعد ما وقع العذاب عَلَىٰ جنتهم، الَّذِي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم عَلَىٰ أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندِموا ندامَةً عظيمة.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠] فيما أجروه وفعلوه،

﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١] أي: متجاوزين للحد في حق الله، وحق عباده.

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢] فهم رجوا الله أن يبدلهم خيرًا منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إِلَىٰ الله، ويُلِحون عليه في الدنيا، فإن كانوا كما قَالَوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيرًا منها؛ لأن من دعا الله صادقًا، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سؤاله.

قال تَعَالَىٰ مبينًا ما وقع: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ [القلم: ٣٣] أي: الدنيوي لمَن أتىٰ بأسباب العذاب أن يسلب الله العبد الشيء الذي طغىٰ به وبغىٰ، وآثر الحياة الدنيا، وأن يزيله عنه، أحوج ما يكون إليه.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [القلم: ٣٣] من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣] فإن من علم ذلك، أوجب له الانزجار عن كل سببٍ يوجب العذاب ويحل العِقاب.

(الشرح)

(لأن من دعا الله صادقًا، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سؤاله)؛ نعم ذَكَرَ بعض المفسرين أن الله أبدلهم بجنةٍ خير منها؛ لأنهم تابوا إِلَىٰ الله وأنابوا إِلَىٰ الله.

وَلَا شَكَّ يا إخوة أن مَن تاب توبةً صادقة إِلَىٰ الله فتاب الله عليه سيبدل حاله إِلَىٰ حالٍ أحسن، لَا شَكَّ في ذلك، فوالله مَن تاب صادقًا إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ سيتغير له الحال في نفسه وفي جميع أحواله، ليس بين الإنسان وأن تتغير حاله إِلَىٰ أمرٍ حسن إِلَّا أن يتوب إِلَىٰ الله، فإن تاب إِلَىٰ الله فليبشر وسيبدل الله له الحال ويرى خيرًا عظيمًا.

(المتن)

قَالَ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القلم: ٣٤-٣٩].

(الشرح)

وبين سُبْحَانَهُ أنه لا يساوي بين المسلمين والمجرمين في الجزاء، فعجبًا ثُمَّ عجبا لحال مَن يظنون ذلك ومَن يساوون بين المسلمين والمجرمين، فمن أين جاءوا بهٰذَا؟ أفبأيدي المجرمين كتاب منزل من السماء يدرسونه ويحفظونه ويتناقلونه فيه ما يدعون من أنه لن يعذبهم يوم القيامة، وأنه سيجعلهم خيرًا من المسلمين يوم القيامة كما يزعمون.

إنهم كانوا يُنكِرون البعث، ويقولون: إن كان هناك بعثٌ فالله سيكرمنا خيرًا من هؤلاء، ويعطينا خيرًا من هؤلاء المسلمين، فمن أين لكم هٰذَا؟ أعندكم كتابٌ مُنزَل من الله تحفظونه وتتناقلونه وتدرسونه فيه هٰذَا، بل أنتم تعلمون أنه ليس كذلك، وأنه لم يُنزَل عليكم كتابٌ قبل القرآن.

فأنتم أُميون ما أُنزِل عليكم كتابٌ قبل القرآن، أم عندكم عهودٌ وأيمانٌ موثقةٌ من الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ أنه لن يعذبكم وأنه سيحصل لكم الإكرام كما تزعمون، ويحصل لكم ما تحبون وما تشتهون، فلا والله ليس عندكم من الله إِلَّا الوعيد بالعذاب الشديد.

ثُمَّ يأمر الله نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسألهم مَن الَّذِي يضمن لكم أن الله لا يعذبكم يوم القيامة، هاتوا ضمير وهاتوا كفيل ولا كفيلا، أم لهم شركاء من دون الله يشاركون الله في التصرف ويعطونهم في الآخرة النعيم من دون الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وهٰذَا لا يكون أبدًا، لكن إن زعموا هٰذَا فليأتوا بشركائهم يوم القيامة إن كانوا صادقين، فلن ينفعهم أحد وليس لهم في الآخرة إِلَّا العذاب.

فهٰذَا وعيد لأُوْلَٰئك الَّذِين يزعمون أن المسلمين كالمجرمين، وكل من يسوي بين المسلمين والمجرمين في الحال يُتوعَد ويُخشى عليه العذاب.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: يخبر تَعَالَىٰ بما أعده للمتقين للكفر والمعاصي، من أنواع النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين، وأن حكمته تعالىٰ لا تقتضي أن يجعل المسلمين القانتين لربهم، المنقادين لأوامره، المتبعين لمراضيه كالمجرمين الذين أوضعوا في معاصيه، والكفر بآياته، ومعاندة رسله، ومحاربة أوليائه، وأن من ظن أنه يسويهم في الثواب، فإنه قد أساء الحُكم، وأن حكمه حُكمٌ باطل، ورأيه فاسد، وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك، فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون ويتلون أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا.

وليس لهم عند الله عهد ويمين بالغة إلىٰ يوم القيامة أن لهم ما يحكمون، وليس لهم شركاء وأعوان عَلَىٰ إدراك ما طلبوا، فإن كان لهم شركاء وأعوان فليأتوا بهم إن كانوا صادقين، ومن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم عهد عند الله في النجاة، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة، وقوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠] أي: أيهم الكفيل بهٰذِه الدعوىٰ الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها، ولا الزعامة فيها.

(الشرح)

لعلنا نقف عند هٰذَا الموطن، ونُكمِل المقطع الأخير من السورة في مجلس الغد إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، غدًا عندنا مجلس بعد العصر في التفسير، ومجلس بعد العشاء إِنْ شَاءَ اللهُ في محاضرة بعد التراويح.

وكما تعلمون غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ تدخل علينا ليلة: ثلاث وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين من العشر الأَوْاخر من الليالي المرجوة لليلة القدر، وَالنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُرشِد إليها، فعَلَىٰ المسلم كما ذكرنا مِرارًا أن يجتهد في العشر كلها فهو خير كله، وَإِذَا اجتهد في العشر كلها فإنه يُرجى له أن يصيب ليلة القدر؛ لأن ليلة القدر هي واحدة من ليالي العشر، ومِن قام ليلة القدر فقد نال فضلها ولو لم يشعر بها.

ولذلك الَّذِي يقوم الليالي جميعًا ينال بإذن الله فضل ليلة القدر، لكن لَا شَكَّ أن الأَوْتار أرجى من الأشفاع، وأن ليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين هي أرجى الليالي لليلة القدر، فينبغي أن يكون اعتناؤنا بهٰذِه الليالي أعظم من اعتنائنا بغيرها مع الاجتهاد في العشر كلها.

الأسئلة

السؤال: هٰذَا يقول: ابتلعت النُخامة بعد أن وصلت إِلَىٰ فمي، فيقول: إنه كان في الصلاة ولم يكن معه منديل فمَاذَا عليه؟

الجواب: النُخامة إِمَّا أن تنزل من الأنف إِلَىٰ الحلق ولا تمروا بالفم، وهٰذِه لا تضر الصائم.

وأذكر لكم فائدة يا إخوة: ما في الحلق لا يطلب من الصائم أن يُخرِجه، فبعض الناس يشق عَلَىٰ نفسه في الصيام ويُتعِب نفسه في الصيام، فطوال الوقت تجده يحاول أن يُخرِج شيئًا من حلقه ليس مطلوبًا منك، الَّذِي في الحلق في الحلق حَتَّىٰ لو كانت نُخامة نزلت من الأنف إِلَىٰ الحلق ولم تمر بالفم، لكن إِذَا كانت النخامة بالفم فلا يجوز للصائم أن يبتلعها، فينبغي أن يُخرِجها في منديل أَوْ نحو ذلك، لكن الغالب أن النُخامة تنزل من الأنف إِلَىٰ الحلق، وهٰذَا لا يضر الصائم.

السؤال: هٰذَا يسأل يقول: أن عنده عملات مختلفة: دولار ويورو فكيف يُخرِج زكاتها؟

الجواب: هنا حَتَّىٰ يعرف النصاب يحولها إِلَىٰ عملة؛ يعني: بالتقدير ليس يعني يصرفها وَإِنَّمَا يُقدِرها مثلًا: كم تساوي بالريال السعودي مثلًا إِذَا كنا في السعودية جميعها مع جميع ماله، فإِذَا بلغت نِصابًا وجبت فيها الزَّكَاة.

ثُمَّ هو حر إن شاء أن يُخرِج من كل عملة عنده، وإن شاء أخرج من عملة البلد فيخرج مثلًا بالريال السعودي، مثلا قُدِرت كلها أربعين ألف يُخرِج منها نصابها بالريال السعودي.

السؤال: هل يأثَّم من حفظ القرآن ثُمَّ نسيه لتقصيرٍ منه وإهمال.

الجواب: يجب أن تكون همتنا أكثر من هٰذَا، فليست القضية أن تأثم، لكن إِذَا أنعم الله عليك بحفظ كتاب الله ينبغي أن عليه أعظم من حرص أصحاب الأموال عَلَىٰ الأموال، فإذا أنعم الله عليك بأن تحفظ كلامه فكنت من أهل القرآن ينبغي أن تحرص عَلَىٰ: أن يبقى الحفظ، فهٰذَا أغلى الكنوز، وأجمل الكنوز، وأنفع الكنوز، فينبغي: أن تكون كثير التكرار للقرآن كثير المراجعة للقرآن لتحافظ عَلَىٰ هٰذَا.

وَأَمَّا: هل يأثَّم مَن حفظ القرآن ثُمَّ نسيه؟ فإن كان النسيان غلبةً عليه فلا يأثَّم، أَمَّا إن في النسيان كأن أهمل المراجعة فإنه يأثَّم بهٰذَا.

السؤال: امرأة اسلمت وطلبت مني أن أكون وليها في النكاح فما هو ضابط التعامل معها؟

الجواب: أَوْلًا يا إخوة: أحذر من التهاون في شأن النساء المسلمات؛ أعني: الخارجات من الكفر والداخلات في الإسلام، فبعض الناس يتساهلون في هٰذَا الأمر، ولربما تلاعبوا بأعراض أولئك النسوة، بل ثبت عندي أن بعض أَوْلئك النسوة قد أرتدن عن الإسلام بعد إسلامهن بسبب تلاعب بعض الرجال المسلمين بهن بعد الإسلام.

فيتلاعب بها ويوهمها أنه يريد أن يتزوجها، وربما قَالَ لها: وكليني وأنا وكيلك وأزوجك لنفسي، ثُمَّ يلهو بها أيامًا ثُمَّ يتركها فيعطيها صورةً سيئة عن الإسلام والمسلمين فعَلَىٰ الأُمَّة أن تتقي الله في المسلمات، ولا سيما المسلمات الجديدات.

والمرأة إِذَا اسلمت إِذَا لم يُسلِم أحدٍ من أَوْليائها فوليها هو ولي أمر المسلمين في البلد، ومَن أنابه ولي أمر المسلمين في البلد إن كانت في بلدٍ مسلم كالمحاكم المختصة، وإن لم تكن في بلدٍ مسلم فوليها هو الَّذِي يتولى أمر المسلمين في ذلك البلد إن كان ثقةً، كإمام المسجد مثلًا في بعض البلدان ونحو ذلك إن كان أهلًا لذلك.

فإن لم يوجد فإنها توكل مسلمًا ثقةً ليكون وليًا لها، لكن هٰذَا مَتَىٰ يكون؟ إِذَا لم تكن في بلدٍ مسلم؛ لأنها إِذَا كانت في بلد مسلم يكون الولي: هو القضاء، والجهة المختصة، أَمَّا إِذَا لم تكن في بلد مسلم فالأصل أن الولي الَّذِي: يقوم بأمر المسلمين، الَّذِي يعقد لهم النِّكَاح ويحصل عنده الطَّلَاق إِذَا كان أهلًا، وإِذَا لم يوجد هنالك توكل هي رجلًا مسلمًا ثقةً ليكون وليًا لها في النِّكَاح.

السؤال: عندنا في المسجد في البلد كبار السن يصفون في آخر المسجد لأجل لأن الكراسي توضع لهم في هٰذَا الموضع فما حُكم صلاتهم؟

الجواب: الصلاة تكون صحيحة، فيا إخوة الصلاة في الصفوف المتقطعة صحيحة، وما أعلم أحدًا من الفقهاء يقول إن الصلاة باطلة، ولكن الجمهور يقولون: وصل الصفوف وتسوية الصفوف مستحبٌ، والصلاة في الصفوف المتقطعة مكروهة، لكن الصلاة صحيحة.

والراجح عندي: أن وصل الصفوف واجب عَلَىٰ المستطيع، فالواجب أن نصل الصفوف ما دمنا مستطيعين، لكن إِذَا كان المسجد كبيرًا مثل المسجد النبوي فإننا لا نستطيع أن نصل الصفوف من كل ناحية فننظر إِلَىٰ الناحية الَّتِي هي جهتنا فنصل الصفوف هٰذَا واجب، لكنه ليس شرطًا، فالصلاة صحيحة.

وَهٰذَا أصلًا ليس انقطاعًا في الصف، فهؤلاء صلاتهم صحيحة فلا حرج عليهم، وعلماؤنا يشيرون إِلَىٰ: أنه إِذَا كان المسجد صغيرًا فإن اَلْأَوَّلى أن يصلي مَن يصلي عَلَىٰ الكراسي في جوانب الصفوف؛ يعني يكون في يمين الصف في آخر الصف، أَوْ في يسار الصف في آخر الصف، حَتَّىٰ لا يؤذي الناس في وسط الصفوف، وَلَا شَكَّ أن هٰذَا التوجيه بديع، لكن المساجد الكبيرة كالمسجد النبوي يَصعُب تطبيق هٰذَا فيها، فيُجتهَد في أن الكرسي لا يؤذي.

يا إخوة الَّذِي يصلي عَلَىٰ الكرسي ينبغي أَوْلًا أن ننتبه: أن الفريضة لا يجوز للمسلم أن يصليها قاعدًا ما دام قادرًا عَلَىٰ أن يصليها، فإن صلى قاعدًا مع القدرة عَلَىٰ القيام فصلاته باطلة، لكن إِذَا كان عاجزًا عن القيام، أَوْ عاجزًا عن السجود عنده مشاكل في الركبة أَوْ نحو ذلك يصلي جالسًا؛ يعني: يقف عند القراءة، ثُمَّ إِذَا أراد أن يسجد يجلس عَلَىٰ الكرسي ما فيه بأس، والنافلة يجوز أن يصلي عَلَىٰ الكرسي.

لكن انتبهوا إِذَا كان بعذر فله مثل أجر القائم، وإِذَا كان بغير عذر فله نصف أجر القائم؛ يعني: بعض إخواننا نراهم ما شاء الله في حال طيبة لكن يصلون التراويح عَلَىٰ الكراسي لأنها أريح، فأنت أذهبت نصف الأجر، ما دمت قادرًا عَلَىٰ أن تصلي قائما صلاتك صحيحة لكن أذهبت نص الأجر.

➥ **طيب ما هي الطريقة الصحيحة عند الصلاة عَلَى الكرسي؟**

✓ **الحالة الأولى:** أنك ستصلي جالسًا طوال الصلاة جالس عَلَىٰ الكرسي من أَوْل الصلاة إِلَىٰ آخرها، في هٰذِه الحال تساوي الصف بظهرك في كل صلاتك، وليس بركبتيك، وَإِمَّا أن تصلي قائمًا ثُمَّ تجلس.

يعني: وأنا واقف أنا مع الصف والكرسي ورائي، فإذا أردت أن أجلس ما أُبقي الكرسي ورائي، أسحب الكرسي إِلَىٰ الأمام وأجلس عليه بحيث أساوي بظهري.

✓ **الحالة الثانية:** ألا تستطيع فتقول: أنا ما أستطيع أن أُحرِك الكرسي وأنا أصلي، إِذًا في هٰذِه الحال أجعل الكرسي كأنك جالس عليه، ولا تؤذي الناس بهذا الكرسي.

وفق الله الجميع، وتقبل الله من الجميع، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.